

Artical History

Received/ Geliş
03.06.2019

Accepted/ Kabul
10.07.2019

Available Online/yayınlanma
01.08.2019.

The indication of time in Ibn Zaydun: Selected study

دلالة الزمن عند ابن زيدون : دراسة مختارة

د. هرمين سمير البنا

الأستاذ المساعد بجامعة الملك خالد

Dr. Hermin Samir Al Banna

Assistant Professor

Head of Arabic Language Department

King Khalid University

د. منال الأمين إدريس

الأستاذ المساعد بجامعة الملك خالد

Dr. Manal Al - Amin Idris

Assistant Professor

Head of Arabic Language Department

King Khalid University

الملخص

تناول البحث (دلالة الزمن) عند ابن زيدون ، مستهلاً ذلك بنبذه تعريفه عن بلاد الأندلس ، بيئتها ، ملامح من عصورها ، مجتمعتها ، تلى ذلك تعريفاً بالشاعر ومن ثم أعراض الشعر لديه مروراً بمفهوم الزمن . ثم عرج البحث لاختيار نماذج عن دلالة الزمن مرتبطة بالبيئة من جهة، مبرزة عناصر الطبيعة ومفرداتها وانصهار الشاعر فيها من جهة أخرى ، فقد استعان الشاعر بالطبيعة ليسوق بها معاني ومدلولات الزمن في قصائده وقد بدت

جلية واضحة ، وقد عُني من خلال ذلك بعلاقة الزمان والمكان لدى الشاعر ، فبرزت دلالة الزمن معبرة عن انفعالات الشاعر وإحساساته بالشوق مرة وبالحنن مرة و بآلام السجن وأوجاعه مرة وبوصفه ممدوحه أخرى .

ثم دلف البحث إلى انتخاب نماذج اشتملت على مفردات مطابقة لمدلول الزمن كالليل والدهر والأيام ، بدا فيها الزمن كائناً حياً يناجيه الشاعر أحياناً ويحاوره أحياناً أخرى باثناً لوعته وأشجانته التي كابدها الشاعر ، مفرداً حيزاً كبيراً من البحث لها مطبقاً بعض منها على عناصر تشكيل الصورة وما استتبعها من تشخيص واستعارة وكناية وخيال ، طارقاً أبياتاً مختارة من ديوان ابن زيدون اقتادت البحث إلى التعويل عليها وسبر أغوارها ؛ إذ لا يمكن الإحاطة بجميع القصائد التي عبرت عن مدلول الزمن ، إنما هي دراسة بكر ، فهي بمثابة فتح الباب أمام الباحثين للبحث في مثل هذه المفاهيم الحية .

تلي ذلك نتائج وتوصيات ذيل بها البحث .

الكلمات المفتاحية : الزمن ، المكان ، الطبيعة ، الأندلس ، ابن زيدون.

Abstract

the indication of time research for Ibn Zaydoun, start with a brief introduction of the country of Andalusia, its environment, features of its ages, its society, followed by a biography of the poet and then his purposes of poetry passing by the concept of time. Then the research move to choose models about the indication of time that related to the environment from the side of outstanding the elements and items of the nature and the fusion of the poet in it. on the other hand, the poet has used nature to show the meanings and indication of time in his poems which have seemed clear , and through that he was interested in the relationship of time and place to the poet, emerged the indication of time and reflect the feelings of the poet and his feeling of eagerness once and sadly Once and prison pain once and another Praised description .

Then the research moved for the election of models included the vocabulary matched to the indication of time, such as night, time and days, in which time appeared a living object sometimes the poet talks to and sometimes discuss him sending his sadness which the poet suffered especialize large part of the research for it applying some of them on the elements

of the image and the characterizing, metphore, and imagination that followed it knocking selected verses from The divan of Ibn Zaydun has led the research to rely on it and to explore its surroundings. It is not possible to take note of all the poems that expressed the indication of time it is just study that open the door in front of researchers to search in such living conceptions.

Following that results and recommendations that tagged the research .

Keywords: Time, Place, Nature, Andalusia, Ibn Zaydoun.

المدخل:

يحاول البحث تفصي فكرة الزمن ومدلولها واقتدار الشاعر علي تحقيقها من خلال النصوص المختارة من ديوانه الشعري ؛ لما أوتي من طاقة ملهمة يحاول بها الوصول إلي استشراف قمة الشعر دون تكلف أو تصنع .

أهمية البحث : الموضوع قمين بالبحث لما يحتويه من جدة وابتكار - على حد علم الباحثين.

أهداف البحث :

- التعرف على السمات الجمالية والفنية والبلاغية لدلالة الزمن في شعر ابن زيدون.
- تفصي دلالة الزمن وأثرها الجمالي لدي الشاعر .
- الربط بين دلالة الزمن ودلالة المكان وتداعيات الشاعر النفسية وأثرها على القصيدة.
- تبصير القارئ بالدلالات الحسية والمعنوية وما صاحبهما من صور وإيقاعات .
- إبراز عناصر الجمال والصور الشعرية ولغة الحوار ، و التشخيص والتجسيد وغير ذلك .
- إبراز العلاقة بين البناء الشعري وتوظيف الشاعر للخيال .
- التأكيد على أهمية " الزمن " ومدلولاتها- والتي تخضع لقوانين الطبيعة واستلهاهم الشاعر لها وتشكيلها حسب الموقف الذي يراه والاستفادة من الدراسات الأدبية ذات الصلة بالموضوع.

حدود البحث : يمثل البحث " نماذج من ديوان ابن زيدون " وتحليلها وشرحها واستيفاء " دلالة الزمن " خلالها. والتعريف بالشاعر وإحساسه القريب والبعيد بالزمن .

هيكل البحث : احتوي البحث إضافة إلى المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول : لمحة عن البيئة الأندلسية والشاعر .

المبحث الثاني : إحساس الشاعر بالزمن من خلال الطبيعة .

المبحث الثالث : علاقة الزمان بالمكان في ديوان الشاعر .

منهج البحث : المنهج الوصفي التحليلي .

مقدمة

حظي ديوان ابن زيدون بالدراسة، فقد تناوله نقاد وأدباء كثيرون بالتحليل والشرح ، ولكن إنما هي محاولة للاستفادة والإضافة إلي جهود السابقين ، وسوف يجد القارئ من خلال هذه الدراسة أبعاداً جديدة – ربما لم يولها الدارسون العناية والتركيز ألا وهي دلالة الزمن عند ذلكم الشاعر وصورها وأشكالها ، وانفعالات الشاعر بها – وتؤثر الدراسة أن يقف القارئ بنفسه عليها حتى لا يفقد متعة الاكتشاف ، التي أتت نتيجة الاطلاع على تلك الروائع التي جادت بها قريحة هذا الشاعر .

ومدلول الزمن يمثل قضية أدبية لها قدر كبير من الأهمية لما لها من اتصال مباشر بحياة الإنسان وقد اهتم هذا البحث بدلالة الزمن عند ابن زيدون هذا الشاعر الأندلسي البارع العاشق الذي صبغ قصائده بصبغة عشقة لولادة، وجاء الليل والنهار-الزمن- شاهداً على معاناة الشاعر وآلامه، وتجلّى عنصر الزمن بارزاً في قصائد المدح والفخر والشكوي والاستعطاف .

ومما لا شك فيه أن الشاعر يتأمل الزمن بوصفه حركة تفسر ما يعتري الإنسان من تطور وتغيير ، فالإحساس بالزمن يمثل بعداً ذاتياً فردياً لدى الإنسان غير أنه يختلف عند الشعراء ، فابن زيدون – الشاعر المنوط

بالدراسة - يختلف في رؤيته للزمن نوعا وحسا وشعورا- حسب الموقف- ووفقا للأثر النفسي - فتعبيره عن الزمن في قصائد المدح يختلف عن قصائد الغزل ، ويختلف عن رؤيته له في مناجاته الليل وتشخيصه له ، ويختلف عن إحساسه بالزمن في سجنه... وهكذا ، فهو يعمد إلي إعادة صنع الزمن وتشكيل الإحساس به من جديد حسب ما تقتضيه اللحظة وكيفما يراه ؛ انفعالا بالموقف المعين ، أو تأكيدا للإحساس بالحزن أو الفرح ، أو تصوير مشهد أو رسم صورة بعينها من مثل قوله مشخضا الزمن وهو يقف على الزهراء مشتاقا لولادة :

ويظلم لي النهار وأنت شمسي
فأجني الموت من ثمرات غرسي
وبعت مودتي ظلم بيخس
فديتك من مكارهه بنفسي

أيوحشني الزمان وأنت أنسي
وأغرس في محبتك الأماني
لقد جازيت غدرا عن وفائي
ولو أن الزمان أطاع حكمي

بحر الرمل

أسباب اختيار الموضوع :

- توَّجَّي الباحثين الكتابة في جديد لم يكتب فيه؛ إيمانا منهما أن الجودة والابتكار من عناصر النجاح .
- الوقوف على النص وعلاقته بالصورة وطبيعة المشهد .
 - تحقق دلالة الزمن أغراضا ترتبط بالبيئة الأندلسية الساحرة .
 - استوفت دلالة الزمن ألوانا من البيان كانت في مجملها صورة حية .
 - إيجاد رؤية للزمن في ضوء دراسة نماذج من ديوان الشاعر .
 - تعزيز ثقافة الاطلاع لدي القارئ .
 - تحقيق إضافة جديدة للمكتبة الأدبية .
 - الإسهام في الارتقاء بموضوعات البحث الأدبي .

الدراسات السابقة :

- لم تقف الباحثان- وبعد جهد مضمّن - على دراسة مفصلة في هذا الجانب، فقط وقفنا على دراسة تحمل عنوان المكان في شعر ابن زيدون وهي رسالة مقدمة من الباحثة سهرة عليوي حسين العامري .

- الزمن في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، رسالة ماجستير ، ريماء بنت عبد الرحمن الشدي ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، 2014م.
- عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون ، الدكتور فوزي خضر ، الكويت ، 2004.
- ابن زيدون المرأة والطبيعة في شعره ، لعزيزة حذيفة ، منشور في صحيفة البيان العدد 38.
- دراسة مبنوثة على الإنترنت عن الزمن في شعر امرؤ القيس .
- مفردات الزمن ودلالاتها في القرآن الكريم ، عبد الله عودة بن عودة ، مجلة المنهل الإلكترونية ، مجلد 51 ، ص 29-50 .
- تماهي الزمن الذاتي بالجمعي في شعر ناصر الدين الأسد ، خالد عبد الرؤوف الجبر ، مجلة المنهل الإلكترونية ، ص 184-203 ، 2014م.
- الطبيعة في شعر ابن زيدون ، دراسة تحليلية ، محمود حمد أحمد ربيع ، رسالة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، 2013م.
- ابن زيدون حياته وأدبه ، عبد الرحمن حسين محمد ، مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط ، ص 156-188 ، 1984م.

المبحث الأول : لمحة عن البيئة الأندلسية والشاعر.

البيئة الأندلسية " بيئة شعف الناس في القديم والحديث بالحديث عنها ووجدوا في قراءة تأريخها والاستماع لأحاديثه لذة روحانية عجيبة ، لا يجدونها في سواه والأندلس فيها من أحاديث البطولة والإقدام ما يعجب له العجب ويهتز له عطف العربي الكريم ، فيها جرأة طارق⁽¹⁾ وعبقرية المنصور⁽²⁾ وعزيمة الناصر⁽³⁾

¹ انظر الزركلي ، دار العلم للملايين ط1 ، 1984 ج 3 / ص 217 طارق بن زياد الليثي (50 هـ / 102 هـ - 72 / 670 هـ)
فاتح الأندلس أصله من البربر أسلم علي يد موسى بن نصير

² انظر الزركلي ج 57 / ص 30 ، لمنصور بن الناصر بن علناس بن حماد ، (498 هـ / 1105 م) نشأ في اماره ابيه بقصر بجاية .

³ ، انظر أبو بكر الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 1417 ، 1997 ، ج 9 ، ص 371 الناصر المؤمني (610 / 1213م) محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الزناتي الكومي الموحد من خلفاء دولة الموحدين

وإقدام عبد الرحمن الداخل وقصة الاندلس ككل القصص كما تصور الرجولة تستهوي النفوس وتسحر العيون ،
ترسم إلي جانبها الجبن والحقد والشرة في حطام الدنيا الزائل " (4).

وطبيعة الأندلس الجغرافية " شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أوروبا" (5) وهي " في آخر الاقليم الرابع
من المغرب" (6) "وكانت تعرف في العصر الإسلامي بجمال الثلج؛ لأن الثلج لا يفارق قممها صيفا ولا شتاءً
(7)." .

أما عن المجتمع الأندلسي فنجد أنه " ضم أجناساً ذوي عقائد عديدة وعادات مختلفة من عرب وبربر
وصقالبة ويهود وإسبان ، والعرب منهم النزاريون والقحطانيون" (8) "وقد اتصلوا بسكان البلاد الأصليين من قوط
وغيرهم وأسلم كثير من المسيحيين واليهود واندمج بعضهم في بعض بالمصاهرة وكونوا شعباً واحداً" (9).

والناظر في التركيب السكاني للشعب الأندلسي يري أنهم " مسلمون وهم العرب والبربر" (10) "والمسالمة
المولدون والموالي والصقالبة" (11) أما المسمون "بعجم الاندلس فهم أهل البلاد الأصليين وكانوا في أكثرية الغالبة
من الإسبان" (12) والذين أصبحت لغتهم العربية فهم "السكان الأصليين الذين بدأوا يتعلمون اللغة العربية وأصبح
المجتمع الأندلسي عربي الملامح والصفات" (13) "وقد امتزجت جميع هذه العناصر من العرب وغير العرب والإسبان

4 علي الجارم ، قصة العرب في اسبانيا ، دار المعارف بمصر د ، ط ، ص 6 .

5 أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلي سقوط الخلافة ، دار المعارف القاهرة ، ط 2 ، ص 16.

6 أبو محمد الرُّشاشي وابن الخراط الأشبيلي ، الأندلس في اقتباس الأنوار ، تقديم وتحقيق إيميلو مولينا وخاتينتوا بوسك بيبلا ، المجلس
الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد 1990م ، د ط / ص 19.

7 عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1396هـ/ 1976م ، ص
201 .

8 مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلس موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، 1983 ، ص 16

9 مصطفى الشكعة ، مرجع السابق ، ص 21.

10 انظر محمد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الإسلام ، الدار التونسية للنشر ، 1984 ، ص 237، البربر من أسبق العناصر الأندلسية
التي دخلت الأندلس وتحملوا أكثر أعباء الفتح .

11 انظر متز ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة ، ط 3 ، 1957 ، ج 1 ، ص 28، حيث يسمي متز
الصقالبة والترك من العبيد البيض : أرستقراطية العبيد .

12 خالد عبد الكريم بن حمود البكر ، النشاط الاقتصادي في الأندلس، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ط 1 ، 1414هـ
ص 32.

13 محمد عبد المنعم خفاجة ، الأدب الأندلسي التطور والتجديد ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1412 ، 1992م ، ص 101 .

وكونوا مجتمعاً يمكن أن نطلق عليه أنه مجتمع مستنبت ليس له أصول تشده ، فرسّمت لوحة جميلة عبرت عنها ثقافتهم وطريقة عيشهم وزبيهم .⁽¹⁴⁾

والمتأمل لطبيعة الأندلس يلقاها طبيعة " ساحرة أخاذة ، إطارها العام بحار هادئة وسماء صافية وتربة سمحة واللون الغالب علي الصورة هو الخضرة الدائمة ، لون الأشجار الوارفة والحشائش اليبانة ، تتخللها زرقة الأنهر والغدران ، وسمرة الجبال وتكثر فيها ألوان الزهور"⁽¹⁵⁾ إضافة الي " القصور والأبنية الفخمة ، والبرك والرياض"⁽¹⁶⁾ الأنيقة والأودية المتحولة الي متنزهات ساحرة والقناطر التي تتزاحم الماء علي أقدامها منشدة أنشودة الحياة المترفة الناعمة "⁽¹⁷⁾ . وقد أشار جودت الركابي إلي سحر الأندلس وجماله، فقال إنّه : " أغني بقاع المسلمين منظراً وأوفرها جمالاً ، وقد تحدث عن جمالها كل من حلها "⁽¹⁸⁾ ، فهي إذن بيئة أدبية تأخذ الألباب وتسحر العقول .

والأدب هو مرآة الشعوب ودليل حضارتها ونبوغ علمائها وأدبائها وقد التفت ابن خلدون إلي تعريف الأدب فقال : " الأدب حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل فن بطرف " ⁽¹⁹⁾، ويوافق ابن قتيبة القول قائلاً : " من أراد أن يكون عالماً فليلتزم فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليوسع في العلوم "⁽²⁰⁾

والبيئة إذن " أحد المكونات الأساسية لمفهوم الإبداع والموهبة "⁽²¹⁾ وتتكون البيئة من الزمان " الذي يولد فيه الشخص والمكان الذي ينشأ في رحابه والمجتمع الذي يتفاعل معه ، وتتداخل هذه العناصر وتتسع لكل

¹⁴ لإلقاء نظرة علي طرق عيش الأندلسيين ولبسهم وعاداتهم الاجتماعية راجع أبو الحسن علي بسلام الشنترنى ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، بيروت ، القسم الرابع ط1 ، 1399هـ-1979 م ، ج1 355 ، سلمى الحفار الكزبري وآخرون ، إسبانيا أصوات وأصداء عربية ، الناشر مجلة العربي ، الكتاب 35 ، ط 1 ، 1999م ، ص 74 ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري ، دار الكاتب ، طرابلس ، ليبيا ، ط2 ، 1999/1429 م ، ج 1 ، ص 312 .

¹⁵ مصطفى عوض الكريم ، عهد المرابطين بالأندلس ، مطبعة مصر القاهرة ، ص 87 .

¹⁶ سميت الرياض بالرياض لاستراضه الماء فيها أي استنقاع الماء وتسمي الرياض حدائق اذا النف عشبها وتكاثف ، اسماعيل أحمد شحادة العالم ، وصف الطبيعة في الشعر الأموي مؤسسة الرسالة دار عمار بدون طبعة ، ص 42 .

¹⁷ ديوان ابن زيدون ، شرح د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2015م ، ص 8 .

¹⁸ جودت الركابي ، الطبيعة في الشعر الأندلس ، 1390هـ /1970م ، ط 2 ص 22 .

¹⁹ محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، التفسير الاعلامي للأدب العربي ، دار الجيل بيروت ، ط 1 ، 1411هـ /1991 م ، ص 32 .

²⁰ المصدر السابق : ص 32

²¹ نصر هرمز ، الشخصية المبدعة ، دار عالم الثقافة ، ط1 ، 1423هـ ، 2003م ، ص 118 .

مكان ومجتمع ، فيتسع مفهوم البيئة للظروف التي تصادف الشاعر سواء أكانت مواتية أو غير مواتية فيندفع الشاعر حينئذ لتأكيد ذاتية بالفن " (22) وما إسبانيا إلا " بيئة محفزة وخيرٌ خالص من الناحية الفكرية " (23).

ولما كانت بيئة الأندلس هي البيئة التي تغذي الأرواح وتدكي الخيال وتلهم الأفكار ، فقد نبغ فيها شعراء وأدباء أثروا الساحة الفنية والأدبية بالإبداع والجمال ومن هؤلاء النفر :

جعفر بن عثمان المصحفي ، الأعمى التطيلي ، ابن عبد ربه ، ابن عمار ، ابن حمديس ، ابن سارة ، ابن هانئ ، ابن خفاجة ، وعلي رأس هؤلاء المبدعين ابن زيدون صاحب الوزارتين السيف والقلم ، وملهم تلك الدراسة ومنبعها . فقد عاش في الأندلس في أحصب بيئة فيها (عهد الطوائف) وانصهر في بوتقة الأندلس كما انصهر فيها غيره وقد أحب وأبغض ودخل السجن وحكم واستشار وكتب الشعر والنثر (الرسالة الجديدة والهزلية) وعبر الوزير الكاتب الشاعر بروح عربية فيها أسلوب جديد يناسب المرحلة والأشخاص والإنسان - الزمان والمكان وقد عاش في عصر " يُعدّ أزهى عصور الأدب وأكملها إشعاعاً " (24).

واسمه "أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي المشهور بابن زيدون ، ولد بقرطبة 1003م / 394هـ ، نشأ في بيئة مثقفة وكان أبوه من وجهاء قرطبة وأغنيائها وفقهائها، فتتقن ثقافة حسنة ونظم الشعر باكراً، وأحب الشاعر ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي " (25) ، وكانت شهيرة بالجمال والأدب وكانت دارها نادياً يتفياً ظلالة كل من أحب الأدب .

وشعر ابن زيدون هو " الصورة الصحيحة لشعر الأندلس؛ لانبجاسه من أعماق فؤاده وانبعائه من طبيعة بلاده " (26) فالمواضيع التي يتصدى لها الشاعر هي " غالباً مستفادة من واقع بيئته ، فشعره يتولد من الواقع الذي يعايشه " (27) وقد تعددت الموضوعات التي طرقها ابن زيدون في شعره فله " مدائح كثيرة في أبي الحزم بن

²² راجع كمال غنيم ، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ص 48 ، 49 .

²³ راجع حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، بدون طبعة ، ص 31.

²⁴ الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، قدم له ووضع فهارسه محمد العنابي ، المكتبة الوطنية العتيقة ، الزيتونة تونس ، طبعة مصورة عن طبعة باريس بدار الكتب الوطنية ، ص 1 .

²⁵ ديوان ابن زيدون مصدر سابق ، 14 ، 16 .

²⁶ أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1970م ، ص 241.

²⁷ إيليا سليم الحاوي نماذج في النقد الأدبي ، دار الكتاب اللبناني ، ط2 ، ص 82.

جهور و أبي الوليد كما مدح بعض أمراء الطوائف وله رثاء في أبي الحزم بن جهور وفي المعتضد ، وأما شعره في ولادة فهو نوع من الغزل الصادق فيه تتجلي قوة عاطفة الشاعر " (28)

ومن أشهر ما قاله متغزلاً فيها " النونية " التي مطلعها :

أضحى الثنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ألاً! وقد حان صبح البين صببخنا حين فقام بنا للحين ناعينا²⁹

فقد " افتتح الشاعر القصيدة بالفعل أضحى إشارة إلى مضمون القصيدة القائم علي اللوعة والحزن والأسى ، فقد حل الثنائي محل التلاقي والتجافي محل التداني ، فعبرت المقابلة بين شطري البيت عن معاناة الشاعر وتبدل حاله " (30) والتداني والتجافي كلاهما من عناصر الزمن التي اختارها الشاعر فعبرت عن سلطة الزمن وهيمنته علي الشاعر وإقرار منه بفضي بالخضوع والاستسلام لحركة الزمن العليا.

ولا ينفك ابن زيدون يأخذ دلالة الزمن في رحلته النونية فلا يبرح ويؤكد على غيظ العدا لقاء ظفره

بمحبوبته ، فقال :

غِظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فِدَعُوا
بِأَنْ نَعَصَّ، فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا (31)
فأسلوب الخبر في قوله (فِدَعُوا بان نعص) تقابله الاستعارة التشخيصية في قوله (فقال الدهر آمينا) " تثبت المعني وتقويه " (32)

وقوله في موضع آخر :

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيبَا
فَصَلِي بِفَرْعِكَ لَيْلِكَ الْغُرَيْبَا (33)

²⁸ ديوان ابن زيدون مرجع سابق ، ص 16.
²⁹ ديوان ابنن زيدون ، مرجع سابق ، ص 298.
³⁰ د. أمال موسي محمد نور ، رئيس قسم اللغة العربية ، جامعة الرباط الوطني ، كلية اللغات والترجمة ، الفن البلاغي في نونية ابن زيدون ، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية ، العدد الأول 2013 ، ص 3 .
³¹ ديوان ابنن زيدون ، مرجع سابق ، ص 298.
³² د. أمال موسي محمد نور ، الفن البلاغي في نونية ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 4.
³³ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 45.

يري الشاعر هنا الزمن كائناً مطرد الحركة تتوازن ماهيته مع شخصية كل إنسان وفق منظومة الحياة ثم

منحه الروح ، فجاء الصباح عند الشاعر كالإنسان رقيقاً على سير المحبوبة ، وقال في ولادة :

بحر الوافر

إِلَيْكَ مِنَ الْأَنَامِ غَدَا ارْتِيَا حِي
وَمَا اعْتَرَضَتْ هُمُومُ النَّفْسِ الْآ
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكَ لِي ، اخْتِلَاسًا
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابِ
فَلَوْ أَسْتَطِيعُ طِرْتُ إِلَيْكَ شَوْقًا
وَحَسْبِي أَنْ تُطَالِعَكَ الْأَمَانِي
وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ غَبًّا
وَأَنْتِ عَلَى الزَّمَانِ مَدَى اقْتِرَاحِي
وَمِنْ ذِكْرِكَ رِيحَانِي وَرَاحِي
أَكُفُّ الدَّهْرَ لِلْحَيْنِ الْمُتَّاحِ
وَعُصْنِ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحِ
وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ
بِأَفْقِكَ فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحِ
وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ (34)

في هذه الابيات تشابك يمنح الشاعر الرغبة في إخراج هذه الأبيات نتيجة تلاحم الشاعر مع الزمن

الذاتي الخاص وتوغله المتوهج الذي ألبس فيه إحساساته المختلفة بعناصر الطبيعة .

مجزوء الكامل

ويقول لولادة في موضع آخر :

أَلَا رَيْتَ لِمَنْ يَبِيْتُ وَحَشُّهُ مُمْلَتُهُ السَّهَادُ؟ (35)

وقد وظف الشاعر في هذه الأبيات دلالة الزمان توظيفاً حياً ينم عن ملكة الشاعر وقدرته اللغوية علي

استخدام المفردات التي حشدها ليعبر عن إحساسه بالزمن وما يعتريه من شوق وصبابه .

المبحث الثاني : إحساس الشاعر بالزمن من خلال الطبيعة .

بالوقوف على دلالة الزمن نشير إلي تعبير علي جعفر العلق إذ يري في الزمن أنه " تغير في نظام الأشياء

وفي نظام النظر إليها وهذا النظام المختلف في النظر إلي الأشياء يعمق صلة الشاعر بتجربته ويبرهن رابطته

³⁴ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص 59، 58.

³⁵ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص 70

بالكون والحياة والأشياء فيجعل من هذه الصلة، لا نقاط تماس مجردة ، بل انصهارا واندماجا ولا يمكن لصلة الشاعر بعالمه أن تكون على المستوي إلا إذا كان مسكونا برؤيا حقة تتيح له تمثل العالم والانغمار فيه والتفاعل معه تفاعلا داخلا وهاجاً" (36)

يعد ارتباط الشاعر بالزمن ارتباطاً وثيقاً بين إحساساته والبيئة الخارجية التي تحيط به .فهو يعتمد إلى تكثيف عناصر الزمن في ديوانه ، وقد " تناول شعراء الطبيعة في العربية ، كما تناول عند الغربيين الطبيعة الساكنة والمتحركة" (37) ومهما يكن من أمر فإن الطبيعة هي مصدر الفن والإبداع ، وأنه لما سئل المستشرق بيكو عن الفن ردّ بقوله : " هو الإنسان مضافاً إلى الطبيعة" (38) وقد اندمجت عناصر الزمن في عناصر الطبيعة وتضافرت وشكلت لوحات واضحة الملامح والسمات .

فالطبيعة بمظاهرها الخلابه وعناصرها المتعددة كانت دافعا للشعراء على مر العصور للتغني بها ، بل شاركت الشعراء إحساساتهم وانفعالاتهم ، وهي المورد والمنهل " فالإنسان بطبيعة حياته في اتصاله بالطبيعة لا شك متجاوب معها متسق واياها فهو يردد في جوانحه أصداها ويشدو معها في لحن أبدي" (39) والليل من مظاهر الطبيعة التي لجأ إليها الشعراء وبثوها أشجانهم وألحانهم وآلامهم وهو " أحد معطيات الكون التي لها خاصية التجاوب والانفعال لدي الشعراء ولعل الحدس⁴⁰ الشعري الذي هو معرفة فاعله وإدراك معبر يجسد به الشاعر ما تعري لحدسه من الوجود شعرا رقيقا" (41) ، فعندما أقام الشاعر بينه وبين الليل وشائج قربي اعتمد علي الاستعارة بما تنطوي عليه من " خاصية التشخيص والتجسيم لتصوير الليل والارتقاء بمعانيه من مجرد إلي المادي المحسوس ، مصطبغاً بحالات الذات وانفعالاتها حسب قدرة الشاعر الفنية وامتلاكه لأدواته في الخلق والإبداع" (42) وذلك " يجعل الصورة الاستعارية أدق وأكثر تكثيفاً للمعاني وأدعى لتحفيز الخيال عند المتلقي

³⁶ على جعفر العلق ، في حداثه النص الشعري ، عمان ، دار فضاءات ، ط3 ، 2013 ، ملخص من ص2 الى 11 .

³⁷ د. جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، مرجع سابق ، ص126 .

³⁸ جان سوير فيل ، نظرية الفن والأنواع الأدبية ، ط4 ، 1957م ، ص 117 .

³⁹ محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، منشأة المعارف ، ط7 ، بدون تاريخ ، ص4

⁴⁰ الحدس : التوهم في معاني الكلام والأمور ، بلغي عن فلان أمر وأنا أهدس فيه : أي أقول بالظن والتوهم ، جمال الدين محمد بن

مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ط3 ، 1414هـ / 1994م ، مادة حدس

⁴¹ منح خوري ، الشعر بين نقاد ثلاثة ، دار الثقافة بيروت ، ط1 ، 1966 ، ص 154

⁴² نوال مصطفى أحمد ابراهيم ، الليل في الشعر الجاهلي ، دار اليازوري للنشر ، الأردن ، عمان ، ط 2009م ، ص 255.

لإدراك العلاقات الخفية التي يقيمها الشاعر بين عناصر الصورة وحالته الشعورية " (43) ويمثل ذلك أبيات ابن زيدون التالية : بحر الوافر

أَغْرُ إِذَا تَجَّهَّـمَ وَجْهَهُ دَهْرٌ تَبَلَّجَ فِيهِ كَالْقَمَرِ اللَّيَّاحُ
أَبْجَرَ الْجُودَ فِي يَوْمِ الْعَطَايَا وَلَيْثَ الْبَأْسِ فِي يَوْمِ الْكِفَّاحِ
لَقَدْ سَفَرَتْ بَعْلَتِكَ اللَّيَالِي لَنَا عَنْ وَجْهِ حَادِثَةٍ وَقَّاحِ (44)

فابن زيدون هنا يعبر عن دلالة الزمن بالاستعارة فهو " مصور ماهر يفتن في إبراز المعاني في حلة قشبية تثير الإعجاب فهو في صورته هذه يستعين بشتي ضروب الأداء البلاغي " (45) ففي قوله (أغر) تجلي جمال الصورة بالتضاد فقد شخص الشاعر الدهر فوجهه وجه متجهم ووجه الممدوح الوجه المشرق الأبيض، مستفيدا من دلالة الزمن في قوله (وجه دهر) لأن دلالة الزمن في قول الدهر تمثل ما ينطوي عليه الدهر من بطش وقوة .

ويمضي ابن زيدون في المدح واصفاً ممدوحة ببحر الجود موظفاً دلالة الزمن في قوله (يوم العطايا) مبرزاً ما تفسح عنه الليالي عند مرض الممدوح وهذا يعني أن الشاعر كان حاذقاً في اختيار ألفاظه وعباراته ؛ لتتناسب والمعاني التي يرغب في طرحها وهذا ليس بدعا، بل قد نحا المنحى الذي قرره الشعراء العرب " فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ولا هجاؤك كاستعطافك بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه فتلطف إذا تغزلت وتفخم إذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه" (46)

فأعظم ما في الأسلوب " من سحر هو استخدامه اللغة المجازية ، فالاستعارة استبدال صورة أو معنى أو موقف محل آخر " (47) فابن زيدون هو شاعر وصاف بما له من شهوة تذوق المرثيات بجمال فنه إذا كان بذلك حاذقاً في اختيار ألفاظه وعباراته، فهو يناجي الليل ويجعل منه شخصاً يحاوره، والليل هنا عنصر من عناصر الزمن والتي تستدعي ذكريات وأحداثاً مختلفة تختلف باختلاف المكان ، فالليل مع الحب العاشق له إحساس و معنى

43 المرجع السابق ، ص 255.

44 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 64، 65.

45 ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق / علي عبد العظيم ، تقديم ومراجعة د. محمد إحسان النص ، نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع ، الكويت ، 2004 ، ص 21.

46 على عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1952م ، ص 240.

47 مصطفى الصاوي الجويني ، البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، دار النجاح للطباعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975م ، ص 117.

غير الذي يشعر به من في السجن مقيد الأيدي ومعنى مختلف عند من يشعر بالغدُر ، كقول ابن زيدون تاركا

ليل ما شاء من طول : مجزوء الرجز

يا لَيْلُ طُلْ ، لا أَشْتَهِي
لَو بَاتَ عِنْدِي فَمَـرِي
يا لَيْلُ حَبْرُ : أَنَّنِي
بِاللَّهِ قُلُّ لِي هَـلْ وَفَى
إِلَّا بَوْصُنْ لِقِصَمِ رَكْ
مَا بِيَتْ أَرْعَى فَمَـرَكْ
أَلْتَدُّ عَنْهُ حَبْرُ رَكْ
فَقَالَ لَا بَلْ غَدْرُكَ (48)

ففي هذه الابيات نري الحوار الداخلي بين الشاعر والليل ، فقد حاور الليل وجعل منه صديقا يشتكى له جفوه الحبيبة ، مما يضيف إلى عنصر الإيقاع الشامل عنصر الموضوعية والتحرر من سيطرة الذات فمفهومه للزمن يأتي وفق منطق عقلي ونفسي قد يبيح له مصاحبة الزمن . وفي موضع آخر يحاور الليل (والبدر) و يطلب منه أن

يطل مع الحبيبة ولا يقصر ، فقد قال : بحر الرمل

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبَّ وَدَّعَكَ ،
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَيَّ أَنْ لَمْ يَكُنْ
يَا أَحَا الْبَدْرِ سَنَاءً وَسَنَاءً ؛
إِنْ يَطُلْ ، بَعْدَكَ ، لَيْلِي ، فَلَكُمْ
ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطْبَى ، إِذْ شَيَّعَكَ
حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ
بِتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ (49)

وإحساس الشاعر بالزمن والطبيعة يجتمعان مرة أخرى في ليلة قضاها في جنات إشبيلية وسط الطبيعة الخلابة

وَلَيْلٍ أَدْمَنَّا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ
وَجَاءَتْ نُجُومُ الصَّبْحِ تَضْرِبُ فِي الدَّجِيِّ
خَلَا أَنَّهُ لَوْ طَالَ دَامَتْ مَسْرَتِي
إِلَى أَنْ بَدَا لِلصَّبْحِ فِي اللَّيْلِ تَأْثِيرُ
فَوَلَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ مَقْهُورُ
وَلَكِنْ لَيْلِي الْوَصْلِ فِيهِنَّ تَقْصِيرُ (50)

يناجي الليل والنجوم ، فيقول : بحر الطويل

48 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 208.

49 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 209.

50 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 130 .

فهنا جاءت عناصر الطبيعة في لوحة جميلة ممتزجة بالزمن في صور إيحائية ذلك أن " الصورة الإيحائية أقوى وأبعد أثراً من تلك التقريرية المباشرة فهي تربط بين المحسوسات والعواطف الإنسانية إذ إن الشاعر فيها ينجح للخيال فيتبع حركات الموصوف " شأنه في ذلك شأن الرسام الماهر الذي ينقل بالألوان علي الورقة البيضاء جمال الطبيعة بمنظرها التي تشد إليها أصحاب النفوس الحساسة " (51)

فما أجمل أن يصف الشاعر الأندلسي " الطبيعة الزاهية المتمثلة في كل ما يحيط به من منزهات وبرك ، ورياض وحدائق ، وأزهار وأطيار وثمار وغيرها " (52) وقد تجلت الألفة بين الشاعر والطبيعة عندما كتب إلي صاحبه أبي القاسم يتذكر مواضي أيامه معه ويذكر ولادة ، في قوله : بحر الخفيف

زَارِنِي بَعْدَ هَجَعَةٍ وَالثُّرَيَّا
وَالدَّجِي مِنْ نُجُومِهِ فِي عُقُودِ
رَاحَةً تَقْدِرُ الظَّلَامَ بِشِيرِ
يَتَأَلَّانَ مِنْ سَمَاكِ وَنَسْرِ (53)

عمد الشاعر هنا الي استخدام عناصر الزمن في صورة خيالية رائعة ، فالخيال نشاط خلاق لا يستهدف أن يكون ما يتشكل من صور" مجرد نسخ أو نقل للواقع ومعطياته أو انعكاساً حرفياً لأنسقة متعارف عليها سلفاً" (54) بل يفرض نظاما وشكلا علي مادة الشعور بالزمن ؛ يجعل ابن زيدون يصور الثريا كائناً حياً يقيس الدجي بشير ساعة زيارة طيف الحبيب .

ويوظف ابن زيدون دلالة الزمن توظيفاً دقيقاً ، حيث يجود خاطر الظلماء فيكسو الشاعر وحببيته بغلالة الستر التي يكاد لأجلها لسان الصبح يفشي ذلك السر قائلًا: بحر البسيط

سِرَانِ فِي خَاطِرِ الظَّلْمَاءِ يَكْتُمُنَا
حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا (55)

⁵¹ ساسين سيمون ، عساف ، الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع أبي نواس ، دار المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ، 1982 ، ط1 ، ص 23 ، 24 .

⁵² حازم عبد الله خضير ، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، دار الرشيد للنشر الجمهورية العراقية ، بدون طبعة ، ص 250 .

⁵³ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص115.

⁵⁴ جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ،المركز الثقافي العربي ، لبنان ، بيروت ، ط3 ، 1992م ، ص 361 .

⁵⁵ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص302.

في جانب آخر يتفق المدلول الزمني لكلمة (الزمن) مع الزمان والدهر والليالي والأيام والحوادث والصبح والربيع في شعر ابن زيدون وهي الأكثر تردداً عند الشاعر ومن ذلك قوله : بحر البسيط

حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامَنَا فَغَدَتْ سُوداً وَكَانَتْ بَكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا (56)

هذا تصور لحالة وجدانية فالشاعر هنا يعيش تجربة فيها مزيج من الانفعالات والأحاسيس " فالصورة هي الوسيلة الفنية لنقل التجربة " (57) وقد ارتقى فيها ابن زيدون فجعل فيها الدهر شخصاً يؤمن علي دعاء الشاعر وبرزت العاطفة عنصراً فاعلاً ، فالحسرة جلية واضحة في البيت .

والزمان يأتي ضمن مفردات الشاعر في قوله : بحر البسيط

إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ قَدْ حَالَ مَذْغَابَ عَنِي وَجْهَكَ الْحَسَنُ (58)

ففي تهنئة ابن زيدون للمعتمد يدمج عنصر الزمن مع مفردات الطبيعة ، حيث قال : بحر الكامل

أَقْدِمُ كَمَا قَدِمَ الرَّبِيعُ الْبَاكِرُ وَأَطْلَعُ كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الزَّاهِرُ
لَيْسَرٌ مُكْتَنِبٌ وَيُغْفِي سَاهِرٌ وَيَرَّاحٌ مُرْتَقِبٌ وَيُوفِي نَاذِرٌ (59)

ومن عناصر الطبيعة التي أحس بها الشاعر وعبر بها عن حبه لولادة (الشمس)، التي جاءت في رؤيتها مختلفة عن رؤية غيره من الشعراء ، فهو يري فيها ولادة؛ فالشمس هنا لم تقصد لذاتها ، وإنما شبهت بها المحبوبة فهي تطلع من سترتها في اعتدال قامة وحسن بحر ثياها : بحر الوافر

رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابٍ وَغُضُنَ الْبَانَ يَرْفُلُ فِي وَشَاحٍ (60)

⁵⁶ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 299 .

⁵⁷ محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة ، القاهرة 2001م ، ص 424 .

⁵⁸ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 316 .

⁵⁹ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 112 .

⁶⁰ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 58 .

وفي موضع آخر يصورها منازعة للشمس فهي بمنزلة الضرة لها ، حين يقول : بحر الخفيف

أَنْتِ وَالشَّمْسُ صَرَّتَانِ وَلَكِنَّ
لَكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ فَضْلُ الطُّلُوعِ (61)
المبحث الثالث : علاقة الزمان بالمكان في ديوان الشاعر .

الطبيعة منذ القدم وحي الشاعر وعندما يرتبط الزمان بالمكان يكن لهما تأثير عميق في نفس الشاعر ، حيث يتجلى ذلك بتأكيد العالم الفرنسي " تين " لأثر البيئة الحاسم في تحديد طبيعة الفنان واتجاهاته " (62) ، وطبيعة الأندلس الخلافة جعلت شعراءها يقفون أمامها بانبهار وأذكت جذوة الحب والتعلق بها في نفوسهم، فراح كل منهم يتغنى بموطنه فابن زيدون يغنى لقرطبة والزهراء ، فقد اتخذ من الزهراء رسول شوق بينه وبين ولادة و جمع بين طربي الزمان والمكان في هذه القصيدة معبراً فيها عن شوقه لها ، فقال : بحر البسيط

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتاقاً وَالْأَفُقُ طَلَقٌ وَمَرَأَى الْأَرْضِ قَدْ رَأَى
وَلِلنَّسِيمِ اغْتِلَالٌ فِي أَصَائِلِهِ كَأَنَّهُ رَقَى لِي فَاغْتَلَّ إِشْفَاقاً (63)

وهنا استخدم الشاعر دلالة الزمن بوقوفه على الزهراء وهي هنا بمنزلة الطلل الذي يعيد فيه الشاعر ذكره فهو يكشف عن زمانين حاضر وماضي ولكل منهما دلالة نفسية ففي الزمن الحاضر تتجلى طلاقة الأفق والمرأى الرائق والزمن الماضي زمن لقائه بولادة.

وللمكان هنا دلالة في نفس الشاعر ذلك " أن المكان وسطاً تتموضع فيه مدركات المرء الحسية والمعنوية لتمظهرات الحياة علي الارض ولأن إدراك المكان والزمان بصفة ملازمة ، لا يتم إلا من خلال إدراك الأحداث الخاصة بموقف فرد بعينه في فترة زمنية محددة في مدتها وتواترها مثل ما ترتبط بالأحداث من حيث خصائص مكانية " (64)

61 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 162.

62 محمد مفيد الشوشابي ، رحلة الأدب العربي إلى أوربا ، دار المعارف المصرية ، بدون طبعة ، ص 35 .

63 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 194.

64 عبد الهادي الجحدلي ، المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية ، النادي الأدبي بالرياض 1430 هـ / 2010 م ، ط 1 ن ص 37 .

فها هو يهيم ببلنسيه ويصف رياضها بفضيض المسك وأنها بلد حبيب لفتى كريم ، إذا يقول :

مجزوء الكامل

أَفْضَىٰ مِسْكَ أُمَّ بَلَدٍ _____ سِيَّةً لِرِيَّاهَا تَمِيمٍ
بَلَدٌ حَيْبٌ أَفْقُهُ _____ لَفْتَىٰ يَحُلُّ بِهِ كَرِيمٍ
زَمَنٌ كَمَا لَوْ الرِّضَاعِ _____ يَشُوقُ ذِكْرَهُ الْفَطِيمِ
أَيَّامٌ أَغْقَدُ نَاطِرِي _____ بِذَلِكَ الْمُرَايِ الْوَسِيمِ
فَلَقَدْ أَقْرَى الْعَيْنَ أَنْكَ _____ غُرَّةَ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ (65)

ومن موضوعات الشعر التي تناولها الشاعر وغمرها بالطبيعة الرثاء ، الذي جمع بينه وبين الزمان في قوله :

بحر الطويل

وعاهد تلك الأرض عهد غمامة _____ إذا استعبرت في ثريها ابتسم الزهر
ألست الذي إن ضاق ذرع بحادث _____ تبلى منه الوجه واتسع الصدر (66)

وقد جمع الشاعر بين مفردات الطبيعة والمدح والزمن، فالممدوح عنده كريم متى طلبت عونه كان كالبحر عالي الأمواج وإن زرته فكأنك تزور روضة عناء بللها الندي ولازمتها سحب الكري والجود ، فقال :

بحر الطويل

جواد متي استعجلت أولى هباته _____ كفاك من البحر الحضم غباب
فزره تزر أكتاف غناء طلة _____ أرتت بها للمكرات رباب (67)

وزمن قرع الطبول يؤذن بالسفر وعلامات الفراق ، فيمني الشاعر نفسه بالعودة بعد مرور ثلاثة أيام ثم

يعود فيتحسر على زيادة الأيام ، تجد ذلك في قوله : بحر الطويل

ولما التقينا للوداع غديّة _____ وقد خفقت في ساحة القصر رايات

⁶⁵ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 277، 278، 279.

⁶⁶ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ، ص 121 .

⁶⁷ ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص 39

وَكُنَّا نُرَجِّي الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ ۖ فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهَا زِيَادَاتُ (68)

لا يستطيع الشاعر الانفصال عن الزمان والمكان في حياته ولا في ذكرياته ، فللمكان دلالة تضيف بعدا آخر على الأحداث فهذه الابيات " تنم عن شوق الشاعر وأسائه ، وتصور ما أثارته الذكرى في نفسه من الحب والحنين لمدينة ترعرع فيها حبه وقضى فيها أيام شبابه وسعادته وشقائه ، ويتحسر علي أيامه الخوالي " (69) بحر الطويل

فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشَوْقًا كَمَا أَضْحَى
أُخْصَّ بِمَحْوُضِ الْهَوَى ذَلِكِ السَّفْحَا
لِقَلْبِي لَا تَأْلُو زِيَادَ الْأَسَى قَدْحَا
فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ الْوَلُوعِ بِهِ نُصْحَا
نِزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْحَا
إِذَا عَزَّ أَنْ يَصُدِّي الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى
ظِلَالُ عَهْدِ الدَّهْرِ فِيهَا فَتَى سَمْحَا (70)

خَلِيلِي لَا فِطْرٌ يَسُرُّ وَلَا أَضْحَى
لَسِنِ شَاقِنِي شَرَقُ الْعُقَابِ فَلَمْ أزل
وَيَهْتَأُ قَصْرُ الْفَارِسِيِّ صَبَابَةً
وَلَيْسَ دَمِيمًا عَهْدُ مَجْلِسِ نَاصِحِ
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى عَيْنِ شَهْدَةٍ
مَحَلُّ ارْتِيَاكِ يُذَكِّرُ الْخُلْدَ طَيْبُهُ
هُنَاكَ الْجَمَامُ الزُّرْقُ تُنْدِي جِفَافَهَا

فلم يكن ابن زيدون الشاعر الأندلسي يشرك الطبيعة حبه فقط ، ولحظات هنيئة فحسب بل كان يشاركها أيضا أوقات محنته بمصائب الدهر وما يحل به من ويلات وهموم ، نحو قوله :بحر البسيط

أَمْ الْكَسُوفُ لغيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟
قَدْ يودَعُ الْجَفْنَ حَدَّ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
عَنْ كَشْفِ ضَرْبِي فَلَا عَتَبَ عَلَى الْقَدْرِ (71)

هَلِ الرِّيَاخُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ؟
إِنْ طَالَ فِي السَّجَنِ إِبْدَاعِي فَلَا عَجْبًا
وَإِنْ يُثَبِّطُ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضَى قَدْرَ

68 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص 53

69 د. جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، مرجع سابق ، 184 .

70 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص 55، 56، 57

71 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص 108

عصفت بابت زبءون الآلام والأوجاع داخل السجن فاتخذ من دلالة الزمن ودلالة المكان وسيلة للتعبير عن ألمه وقلقه وعذابه ،وهنا " يحاول أن يتأسى بصروف الأيام " (72) فإن طال وجود الشاعر في السجن فلا عجب ، إذ يودع السيف القاطع غمده ولا يفقد شيئاً من صفاته .

فدلالة مكان السجن في نفس الشاعر شحذت قريحته فنظم قصائد فياضة باللوعة والحزن ، فالسجن " من الأمكنة التي هي ضد الحياة ينفر منها المرء لأنها تكثف فكرة انعدام الوجود والحماية . في أماكن شاذة غير قابلة للسكنى والعيش بل تمثل خروقات للذات البشرية تواجه فيها الضعف الإنساني بكل تجلياته " (73) يتمثل ذلك في قول ابن زيدون لما كان سجيناً يبعث إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حفص ابن برد شاكياً مستعظفاً:

مجزوء الرمل

مَا عَلَى ظَنِّي بَأْسُ يَجْرُحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُ
رُؤْمًا أَشْرَفَ بِالْمُرُ عَ عَلَى الأَمْسِ يَأْسُ
وَكَلَذَا الدَّهْرُ إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ ذَلَّ نَاسٌ (74)

ففي المكان المنفي كالسجن " تتبدى دلالات الأماكن المعرقة في انغلاقها ،وتحمل سمات العمق والدونية والبعد عن مجال الرؤيا المباشرة أو التخفي ، في كونها رامزة إلى منطقة اللاوعي الإنساني حيث الانكفاء والعودة إلى المأوى لمواجهة مشكلات الحياة وسلبياتها سواء أكانت متمثلة في عداء الآخر أو قلق الذات الوجودي ، أو فقدان لرابطة اجتماعية إنسانية عاطفية مميزة بالآخر " (75) وقد تحققت هذه الأشياء عند ابن زيدون حين دخل السجن فأحس بعداء ابن عبدوس منافسه على حب ولادة وشعوره بالقلق والدونية وفقدان (المنصب والشرف) لما يتمتع به من الوزارة ومكانته الأدبية بين شعراء عصره ، فوق أنه فقد نأى عن محبوبته وعشيقته ولادة .

فقد نظم " في فاتحة سجنه هذه القصيدة يعاتب فيها أبا الحزم بن جمهور ويدفع عن نفسه التهمة متضرعاً مستعظفاً في حرقة ، وإنك لتشعر خلال هذه الأبيات بألم الشاعر الذي أعيته المحنة ولكنه بقي متجلداً مدركاً

72 د. جودت الركابي ، مرجع سابق ، ص 229.

73 عبد الهادي الجحدلي ، مرجع سابق ، ص 220 .

74 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص138.

75 عبد الهادي الجحدلي ، مرجع سابق ص 219.

لمزاياه غير مسترسل في مدح ابن جهور إلا من خلال نفسه التي أمضها السجن وأذاها " (76) وربط ابن زيدون
ربطاً محكما بين ما يعانيه وما تبرزه الأبيات التالية : بحر الطويل

ألم يأن أن يكي الغمام علي مثلي وَيَطْلُبُ ثَأْرِي الْبَرْقُ مُنْصَلَتَ النَّصْلِ
وَهَلَّا أَقَامَتْ أَنْجُمُ اللَّيْلِ مَأْتَمًا لَتَنْدُبَ فِي الْآفَاقِ مَا ضَاعَ مِنْ نَبْلِي
وَلَوْ أَنْصَفْتَنِي وَهِيَ أَشْكَالُ هَمِّي لِأَلْقَتْ بِأَيْدِي الذَّلِّ لَمَّا رَأَتْ دُؤْيِي
وَلَا فُتِرَقَتْ سَبْعُ الثَّرِيَا وَغَاضَهَا بِمَطْلَعِهَا مَا فَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ شَمْلِي
لَعَمْرُ اللَّيَالِي! إِنْ يَكُنْ طَالَ نَزْعُهَا لَقَدْ قَرُطَسْتُ بِالنَّبْلِ فِي مَوْضِعِ النَّبْلِ (77)

فدلالة الزمن هنا تتجسد في استفهام الشاعر عن الوقت الذي يحين لبكاء الغمام علي أمثال الشاعر
، مطالباً البرق للأخذ بالثأر له ، ثم إن ما اكتسبه الشاعر من منصب ووجاهة حق لأنجم الليل أن تقيم لأجله مأتماً
وعويلاً ، وهل للنجوم التي هي كهمة الشاعر أن تنصفه وترميه بذلة جانباً ، ولا خففت الكواكب السبعة لما آل
إليه حال الشاعر ، فلطالما رمت الشاعر بالمصائب فقد اصابت موضعه النبيل .

76 د. جودت الركابي ، مرجع سابق ، ص 226.

77 ديوان ابن زيدون ، مرجع سابق ص 239.

الخلاصة :

تناول البحث دلالة الزمن عند ابن زيدون ، واستهل ذلك بنبذة تعريفية عن الأندلس هذه البيئة الخضراء الخلابة التي استوقفت الشعراء ، فكانت موردا ومنهلا للأفكار والخيالات والصور عند الشعراء والكتاب على مر العصور .

عالج البحث قضية الزمن عند ابن زيدون ، وعلاقة الدلالة الزمنية بالدلالة المكانية عند الشاعر وأثر الدلالة المكانية والاجتماعية على نفسية الشاعر .

ثم عني البحث بدراسة مختارة من أشعار ابن زيدون ، واستوقفتنا القصائد والأبيات التي يجمع فيها الشاعر بين طرفي الزمان والمكان ، لما لهما من أثر عظيم في نفس السامع أو القارئ.

البحث يظهر أهمية الشاعر ومعجمه اللغوي وخصائصه الفنية التي تفردها، نحو:

- الافتتان بجمال الطبيعة ، فكانت مصدره الأول في التصوير .
- الشعر يحمل تجسيدا وتشخيصا للطبيعة في معظم القصائد .
- تنوع أغراض الشعر وموضوعاته عند الشاعر .
- تعدد البواعث التي تقود الشاعر لقرض الشعر .
- انصهار الشاعر في أماكن (كالزهراء وقرطبة وبلنسية) .
- مزج الشاعر دلالة الزمان بدلالة المكان في أغلب قصائده .
- لا يستطيع الشاعر الانفصال عن بيئته ومكانه .
- اتسم شعر الشاعر بالسهولة والوضوح .
- انصراف الشاعر لحبه لولادة فجاء قاموسه الشعري حافلا بولعه بها في العديد من القصائد .
- توفرت لدى الشاعر الصورة الفنية وجاءت تارة تشبيهاً وتارة استعارة وتارة أخرى كناية .
- جاءت قصائده ملتزمة الوزن والقافية والوحدة الموضوعية .
- استطاع من خلال قصائده رسم الصور واللوحات وحشد العديد من التفصيلات الزمنية الدقيقة .

- ألقى السجن بظلاله علي شعر ابن زيدون ، فالنظم تشخيص الدهر مرات عديدة.

أهم النتائج المتوقعة :

- تباينت رؤية الشاعر للزمن بتباين الأوضاع والظروف السياسية التي عاشها ؛فقد رافق ابن زيدون تقلبات الأوضاع كسقوط الدولة الأموية ,وقيام دويلات ملوك الطوائف .
- طبيعة الأندلس الساحرة شحذت قريحة الشاعر؛ فأعادت تشكيل الزمن لديه فبدت كلوحات مجسمة أو مشاهد حية.
- استخدم الشاعر جميع ألوان البيان ؛ فكان للاستعارة والكناية والتشبيه وجودا فاعلا داخل النص .
- بروز عنصر التشخيص بصورة كبيرة ؛ ما يدل على ملكات الشاعر الأدبية .
- الدولة العبادية التي عاش في كنفها ابن زيدون كانت بيئة محفزة لقول الشعر ؛ فمجتمعها يكاد يكون شعراء كله .
- أذكت ويلات السجن لدى الشاعر عبارات الأمل فناجى الليل وحدثه وخاطبه وشكا إليه .
- ارتباط الشاعر بإحدى الأدبيات في الأندلس بثت بداخله صورة للزمن توشك تتحدث لغة مباشرة .
- لم يغفل الشاعر غرضا من أغراض الشعر إلا وبدا الزمن فيه شاهدا حاضرا.
- تجاوزت صورة الزمن لدى الشاعر الدلالة الزخرفية؛ إلى كونها بناء فنيا نابضا بالحركة والحياة فكانت ميدانا للإتقان والإبداع , وأجل تصويرا من الواقع الذي تحاكيه .

بعض التوصيات :

توصي الباحثتان بالآتي :

- يعتبر البحث طريقا ممهدا لدراسات أكثر إيفاء لدلالة الزمن في ضوء علم النفس وعلم الجمال وغيرها .

-الإكثار من القراءة فيما خلفه العرب من تراث أدبي من المنظوم والمنثور؛ فبلاغة القول ورشاقة التعبير ، وإصابة المرمى من نفس السامع ؛ تتطلب العكوف على مظان الأدب ، ومن يفعل ذلك يظفر بملكة مواتية وحظ من الأدب عظيم .

- أفراد دراسات خاصة بدلالة المكان لارتباطها بدلالة الزمن .

- عقد موازنات بين ابن زيدون ونظرائه من الشعراء العرب .

-الاهتمام بالتراث العربي، وحث الباحثين على التعمق في الدراسات الأدبية التراثية ، لما فيه من حفظ للغة العربية وحفظ للغة القرآن الكريم وحفظ لهويتنا العربية والقومية .

المصادر والمراجع :

- ديوان ابن زيدون شرح د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، 2015 م .
- أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي دار الفكر العربي، القاهرة ، 1970م .
- إيليا سليم الحاوي، نماذج في النقد الأدبي ، دار الكتاب اللبناني ، ط2 ، ص 82.
- أبو الحسن علي بسام الشنتري ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، بيروت ، القسم الرابع ط1 ، 1399هـ 1979 م ، ج 1 355
- أبو بكر الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ،دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 1417 ، 1997 ، ج 9 .
- أبو مُجَّد الرُّشَاطِي وابن الخراط الاشيلي ، الأندلس في اقتباس الأنوار ، تقديم وتحقيق إميلو مولينا وخاتينتوا بوسك بيلا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد 1990م ، د ط / ص 19
- أحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت .
- أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، ط 17.ع
- إسماعيل أحمد شحادة العالم ، وصف الطبيعة في الشعر الأموي مؤسسة الرسالة دار عمار بدون طبعة ، ص 42 .

- أميليو غرسية غومس ، مع شعراء الأندلس والمنتبي ، نقله للعربية الطاهر أحمد مكى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط7 ، 2004م.
- جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، بيروت ، ط3 ، 1992م .
- جودت الركابي ، الطبيعة في الشعر الاندلس ، 1390هـ / 1970م ، ط2.
- حازم عبد الله خضير ، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، دار الرشيد للنشر الجمهورية العراقية ، بدون طبعة .
- حسن اسماعيل عبد الرازق ، البلاغة العربية المعاني والبديع والبيان ، مكتبة الأزهرية القاهرة ، ط1 ، 2006م.
- حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، بدون طبعة.
- خالد عبد الكريم بن حمود البكر ، النشاط الاقتصادي في الاندلس مطبوعات الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ط1 ، 1414هـ.
- د. أمال موسي محمد نور ، رئيس قسم اللغة العربية ، جامعة الرباط الوطني ، كلية اللغات والترجمة ، الفن البلاغي في نونية ابن زيدون ، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية ، العدد الأول 2013
- د. جودت الركابي في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، القاهرة ط6 ، 2008م.
- د. نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي ، دار سائر المشرق ، 1438هـ.
- ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق أ/ علي عبد العظيم ، تقديم ومراجعة د. محمد إحسان النص ، نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع ، الكويت ، 2004 .
- الزركلي ، دار العلم للملايين ط1 ، 1984 ج3 .
- ساسين سيمون ، عساف ، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، دار المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ، 1982 ،
- سلمى الحفار الكزبري وآخرون ، إسبانيا أصوات وأصداء عربية ، الناشر مجلة العربي ، الكتاب 35 ، ط1 ، 1999م .

- عبد الأله الصائغ ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 2010م .
- عبد الحميد عبد الله الهرامة ، القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري ، دار الكاتب ، طرابلس ، ليبيا ، ط2 ، 1999/1429 م ، ج 1 .
- عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1396هـ / 1976م .
- عبد الهادي الجحدلي ، المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية ، النادي الأدبي بالرياض 1430هـ / 2010 م ، ط 1 .
- علي جعفر العلق ، في حادثة النص الشعري ، عمان ، دار فضاءات ، ط3 ، 2013 .
- علي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ط2 ، 1952م .
- علي الجارم ، قصة العرب في إسبانيا ، دار المعارف بمصر د ، ط .
- الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، قدم له ووضع فهارسه مُجّد العنابي ، المكتبة الوطنية العتيقة ، الزيتونة تونس ، طبعة مصورة عن طبعة باريس بدار الكتب الوطنية .
- كمال غنيم ، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، مكتبة مدبولي القاهرة .
- متز ، الحضارة الاسلامية ، ترجمة مُجّد عبد الهادي أبوريدة القاهرة ، ط 3 ، 1957 ، ج 1 ، ص 28 ، حيث يسمى متز الصقالبة والترك من العبيد البيض : أرستقراطية العبيد .
- مُجّد عبد المنعم خفاجي ، الأدب الأندلسي التطور والتجديد ، دار الجيل بيروت ، ط 1 ، 1992م .
- مُجّد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، التفسير الاعلامي للأدب العربي ، دار الجيل بيروت ، ط 1 ، 1411هـ / 1991 م .
- مُجّد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الاسلام ، الدار التونسية للنشر ، 1984 ، ص 237 ، البربر من أسبق العناصر الأندلسية التي دخلت الأندلس وتحملوا أكثر أعباء الفتح .
- مُجّد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة ، القاهرة 2001م
- مُجّد مفيد الشوشابي ، رحلة الأدب العربي إلى أوروبا ، دار المعارف المصرية ، بدون طبعة .
- مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، 1983 .

- مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة والنقد بين التاريخ والفن، دار النجاح للطباعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975م ،
- مصطفى عوض الكريم ، عهد المرابطين بالأندلس ، مطبعة مصر بالقاهرة.
- مصطفى ناصف الصورة الأدبية ، دار الأندلس بيروت ، ط 1 ، 1983م.
- المقري التلمساني ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، شرحه وعلق عليه يوسف قاسم طويل ,مريم قاسم طويل ، ط 4، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1995م.
- نصر هرمز ، الشخصية المبدعة ، دار عالم الثقافة ، ط 1 ، 1423هـ ، 2003م .